سامر إسلامبولي

قراءة نقدية لكتاب التفكير

تأليف «تقي الدين النبهاني»

مؤسس حزب التحرير



LEVANT
دار نشر • دورات • دراسات • استشارات

سامر إسلامبولي

قراءة نقدية لكتاب التفكير تأليف «تقي الدين النبهاني»

قراءة نقدية لكتاب التفكير

تأليف «تقي الدين النبهاني»

سامر إسلامبولي

الطّبعة الأولى: 2019 م

البريد الإلكتروني: s.islambouli@gmail.com
السويد: 0046734233031

تصميم الغلاف والاخراج الداخلي:

كمال يوسف

ky.design.a2@gmail.com



مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

الإسكندرية – مصر

د3، بناء 44، ش سوتر، أمام كلية حقوق الإسكندرية، مصر

موبايل: 01114391600 هاتف: 4830903 / 03

بريد إلكتروني: levant.egsy@gmail.com

موقع إلكتروني: www.levantcenter.net

رقم الإيداع: 11328/ 2019 م

الترقيم الدولى: 978-977-6651-60-9

قراءة نقدية لكتاب التفكير

تأليف «تقي الدين النبهاني»

مؤسس حزب التحرير

سامر إسلامبولي



دار نشر • دورات • دراسات • استشارات

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمـَنِ الرّحِيمِ

﴿يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ
إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(الحجرات 13)



الفهرس

المقدمة

هـذا الكتـاب (التفكـير)[1] هـو مـن آخـر مـا ألفـه «النبهـاني» في حياتـه قبـل وفاتـه في آخـر السـبعينيات مـن القـرن العشريـن[2]، ويُعَـدُّ عنـد أتباعـه (عنـاصر الحـزب) كتـاب مهـم جـدًّا، وربمـا عـدّوه أهـم كتـاب في موضوعـه عـلى مسـتوى الفكـر العالمـي.

ليـس الهـدف مـن هـذه القـراءة نقـض الكتـاب، وإنمـا نقـده وتقويمـه ومسـاعدة أتبـاع الرجـل عـلى الانفتـاح عـلى الآخريـن والحـوار معهـم، والتعايـش مـع الـرأي الآخـر المختلـف عنهـم، والتفريـق بـين الحكـم عـلى الفكـرة بالكفـر، والحكـم عـلى الشـخص بالكافـر، وهـذا مـا وقـع بـه «النبهـاني» عندمـا حكـم عـلى فلاسـفة المسـلمين بأنهـم كفّـار جميعًـا.

ودعوتهـم للرجـوع إلى القـرءان في دراسـتهم، والاعتـماد عليـه مصـدرًا علميًّـا وفكريًّـا وتشريعيًّـا ونفسـيًّا، وعـدم الانـزلاق في متاهـات مصطلحـات الآخريـن والاعتـماد عليهـا في الدراسـة؛ مـما أدى إلى الوصـول إلى مفاهيـم مختلفـة مـع القـرءان مثـل مفهـوم التعقـل، والتفكـير، والإدراك...إلـخ.

فقـد أعطاهـم «النبهـاني» مفهومًـا واحـدًا رغـم أنـه يتبنَّـى قاعـدة:

1 رابط كتاب التفكير للنبهاني لمن يحب قراءته والرجوع إليه http://cutt.us/2oM1F

2 تقي الدين النبهاني من مواليد عام 1914 في قرية إجزم في فلسطين، أسس حزب التحرير مطلع 1953، نال الشهادة العالمية في الشريعة من جامعة الأزهر عام 1932، وعمل قاضيًا في محكمة الاستئناف في القدس، توفيّ الشيخ عام 1977 في غرة محرم 1398 هـ. عُرف بتأسيسه حزب التحرير، وهو حزبٌ سياسيٌّ إسلامي مقر قيادته الحالية في الأردن، ومن مؤلفاته: نظام الإسلام ، والنظام الاقتصادي.

(إذا اختلف المبنى اختلف المعنى) التي ذكرها في كتابه أصول الفقه (الشخصية ج 3)، ولكن أثناء الدراسة جمّد هذه القاعدة ولم يُفَعِّلها بدراساته ومؤلفاته، وبعمله هذا وقع في أخطاء جمة في منهجه كاملًا أصولًا وفقهًا وفكرًا.

ونلاحظ أن دراسة النفس مُبعدة تمامًا من كتاب التفكير، وكأنها غير موجودة عنده ككائن غير الجسم، وهذا أدى إلى تخبطه في تحليل عملية التفكير كيف تتم؛ لأن التفكير فعل للنفس وليس للجسم، وتابع دراسته للغرائز الجسمية والحاجيات العضوية، وفاته أن للنفس أيضًا غرائز وحاجيات، وهي الأصل الذي يميز الإنسان عن الحيوان البهيمي.

غير استخدامه كلمات للبهائم لا يصح استخدامها إلا للإنسان مثل فهم، وأدرك، وعرف، وميز، ومرد ذلك لعدم ضبط دراسته على القرءان.

أما تناقضه فحدث ولا حرج، تجده يقر بصواب قاعدة (قياس الغائب على الشاهد)، ويطالب الباحثين بالتقيد بها، وينقد قياس الشاهد على الغائب، بحجة أن الغائب ليس واقعًا ليكون موضعًا للتفكير، ويبطل كل النتائج التي بُنيت عليها، ونجده عندما درس المعلومات السابقة وأهميتها لحصول التفكير اعتمد على الإنسان الأول (آدم) وهو من دائرة الغيب وقاس عليه الشاهد، واختبأ وراء نص قرءاني ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء﴾[البقرة:31]، وخلط بين فعل (علم) وفعل (عرف)، وعد كلمة (أسماء) هي مجرد ألفاظ متعلقة بالمسمى، مع العلم أن معرفة ذلك ليس علمًا قط، وليس ميزة لمخلوق عن الآخر.

والقرءان حدد أن التعليم للإنسان لا يكون إلا بالقلم﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[العلق:4]، والقياس الصواب هو أن الإنسان القديم فكّر وتعلّم

مثـل الإنسـان الحديـث، وهـذا يعنـي أن الدراسـة ينبغـي أن تنصـب عـلى الإنسـان الحديـث المشـاهد والوصـول إلى نتائـج نطبقهـا عـلى الإنسـان كجنـس؛ لأنـه لم يتغـير في وجـوده.

غـير أنـه وقـع في خدعـة الشـيوعيين في إنكارهـم وجـود خالـق للكون، فكانـت هـذه الفكـرة الحجـر الـذي أصـاب بحثـه مقتـلًا، وذهـب يُثبـت الثابـت الفطـري، ووقـع بأمـور مـا ينبغـي أن يقـع فيهـا مثلـه؛ مثـل قولـه بفنـاء المـادة، بمعنـى زوالهـا إلى لا شيء، ونفـى عـن الواقـع أنـه مصـدر للمعلومـات إضافـة إلى أنـه موضـع للتفكـير، وكل ذلـك لينقـض الفكـر الشـيوعي بـأي شـكل مـن الأشـكال.

هـذه القـراءة هـي نقـد منطقـي قـرءاني لسـاني لكتـاب «التفكـير» لنفـي القداسـة الفكريـة عنـه، والتـي منحهـا أتباعـه لـه، وهـي لا تنفـي أهميـة الكتـاب وجدِّيتـه في موضوعـه وفائدتـه للقـراء، ولكـن دعـوة لفهمـه وتجـاوزه بعـد نقـده وسـد الثغـرات التـي وقـع فيهـا المؤلـف، وأتبعتـه بنقـد مفهـوم الإجـماع وقاعـدة (الأصـل بالأفعـال التقيـد).

دمشق 15/ 3/ 2011م

القراءة النقدية لكتاب التفكير

وضعت كلام «النبهاني» أولًا مُرَقَّمًا ونقده تحته بحرف التاء، ولم أضع رقم الصفحة؛ لأن النسخة التي عندي من النت، ويختلف إعدادها من نسخة إلى أخرى، والكتاب في أصله لا يوجد فيه فصول أو عناوين أو فهرس، وسألت أحد القياديين[1] عن ذلك، فقال: للمحافظة على تراث النبهاني كما هو!

1- الإنسان فضله إنما هو في عقله، فعقل الإنسان هو الذي رفع شأن هذا الإنسان وجعله أفضل المخلوقات.

ت- فضل الإنسان ليس بعقله فقط، لأن الملائكة كائنات عاقلة أيضًا، وفضل الإنسان أتى من جراء منحه الإرادة التي نتج عنها الحرية وجعله خليفة في الأرض.

1 معتمد بلاد الشام حينئذ /1991/ الملقب بأبي علي واسمه «مصطفى جيجو»، ومشهور بلقب أبو علاء، وهو من مدينة حلب، وعملت لكتاب التفكير حينئذ فهرس لتسهيل قراءته والرجوع إلى مواضيعه وعرضته عليه فرفضه.

التعقل والتفكير وظائف للقلب

2- ولا يمكن الاهتداء إلى واقع التفكير، إلا بعد معرفة واقع العقل معرفة يقينية بشكل جازم؛ لأن التفكير هو ثمرة العقل.

ت- كلمة عقل كاسم لم تستخدم في القرءان قط، وإنما أتى كلمة يعقلون ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج:46]، أو تعقلون ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:44]، أي: بصيغة فعل وليس بصيغة اسم.

وكذلك التفكير لم يأت إلا بصيغة الفعل ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرءانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر:21]، أو تتفكرون ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾[الأنعام:50].

وفعل التعقل من وظيفة القلب ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج:46].

وفعل التفكر عملية مركبة من عدة عوامل أساسها فعل التعقل، وكل فعل تفكر هو تعقل، والعكس غير صواب.

نفي مفهوم العلم عن علوم النفس والمجتمع

3- أي: يمكن إدراك أن الكيمياء علم، وأن ما يسمى بعلم النفس وعلوم الاجتماع ليست علمًا.

ت- العلم؛ علم سواء أكان بالطريقة التجريبية أم الطريقة العقلية، أليس للنفس الإنسانية وجود مختلف عن الجسم، أليس هي من خلق الله، وخلق الله كله تم بقدر وبسنن تحكمه، وهذا يعني أن تدرس ويتم اكتشاف سننها ويسمى ذلك علمًا، وكذلك المجتمع، وبصرف النظر عن النتائج فهي على غالب الظن، والعلم تراكمي متنامٍ تصاعدي.

تعريف التفكير لا علاقة له بإثبات الخالق

4- ولكـن هـذه التعاريف(للتفكـير)، أو بعبـارة أخـرى هـذه المحـاولات، لا يوجـد فيهـا مـا يسـتحق الذكـر، ولا مـا يرتفـع إلى مسـتوى النظـر، سـوى محاولـة علـماء الشـيوعية، فـإن تعريفهـم وحـده هـو الـذي يمكـن أن يسـتحق الذكـر، ويمكـن أن يرتفـع إلى مسـتوى النظر؛لأنهـا محاولـة جدية، لم يفسـدها عليهـم إلا إصرارهـم الخاطـئ عـلى إنـكار أن لهـذا الوجـود خالقًـا.

ت- دراسـة وظيفـة القلـب التعقـل أو التفكـر لا علاقـة لهـما بموضـوع وجـود الخالـق أو نفيـه قـط.

علاقة الواقع بالدماغ

5- إلا أنهم حين حاولوا ربط الواقع بالدماغ للوصول إلى الفكر، أي لإيجاد التفكير، ضلوا الطريق، فجعلوا الرابط بينهما هو انعكاس هذا الواقع على الدماغ. فخرجوا بالنتيجة الخطأ في معرفة العقل، ولذلك عرفوا العقل تعريفاً خاطئًا.

وسبب ذلك هو إصرارهم على إنكار أن للوجود خالقًا خلقه من عدم... ولكن أساس الخطأ لم يكن من عدم التفريق بين الإحساس والانعكاس، وإلا لكانوا اهتدوا إلى أن المسألة هي إحساس وليست انعكاسًا. بل أساس الخطأ، وأساس الانحراف، ناتج عن إنكارهم أن لهذا الوجود خالقًا.

ت- توقف النبهاني عند كلمة (انعكاس) غير مبرر ولعل الترجمة التي قرأها خطأ؛ لأنه لا يقول أحد: إن الدماغ سطح مصقول فيه قابلية عكس الصور! ومن يقرأ رأي الشيوعيين يدرك أن مقصدهم هو نقل الإحساس بالواقع إلى الدماغ عن طريق أحد أدوات الحس الخمسة، وإصراره على أن الخطأ نتيجة إنكار وجود خالق عجيب وغريب، فالمسألة لا علاقة لها بوجود الخالق أو إنكاره قط، والله لم يخلقنا من عدم كما قال النبهاني؛ لأن كلمة (عدم) تدل على حال فقدان فاعلية الشيء ورجوعه إلى المادة الخام المهملة، ومنه قولنا: إعدام المجرم، وقولنا للفقير المدقع هو: مُعدم، وكلمة عدم لم يستخدمها القرءان

قـط، وهـي تعنـي الـشيء الفاقـد للفاعليـة، ولا تعنـي الـلاشيء، لأن الـلاشيء هـو الـلاشيء، ولا يُعَـرَّف، ولـو عُـرِّف لصـار شـيئًا، والله خلـق الخلـق ابتـداءً بعـد أن لم يكـن شـيئًا كـما قـال: ﴿أَوَلَا يَذْكُـرُ الْإِنسَـانُ أَنَّـا خَلَقْنَـاهُ مِـن قَبْـلُ وَلَـمْ يَـكُ شَـيْئًا ﴾ [مريـم:67]، ولم يخلـق الـشيء الأول مـن شيء وإلا اقتـضى التسلسـل اللانهـائي وهـو افـتراض باطـل؛ لأنـه ينقـض مفهـوم السـببية، ولم يخلقـه مـن لا شيء! لأن الأمـر لـو كان كذلـك لصـار الـلاشيء شـيئاً عندمـا نُسـب لـه الخلـق، والعبـارة القرءانيـة واضحـة في دقتهـا وإحكامهـا ﴿خَلَقْنَاهُ مِـن قَبْـلُ وَلَـمْ يَـكُ شَـيْئًا﴾[مريم:67].

التفكير يتم بمعلومات مسبقة أو لاحقة

6- أساس الخطأ، وأساس الانحراف، ناتج عن إنكارهم أن لهذا الوجود خالقًا، فلم يدركوا أن وجود معلومات سابقة عن هذا الواقع شرط ضروري لوجود الفكر، أي: شرط ضروري لوجود التفكير، وبالتالي شرط ضروري لتكوين العقل، أي: ليكون هناك عقل، أي: هناك فكر، وتفكير. وإلا لكان لدى الحمار عقل؛ لأنه يملك الدماغ، وينعكس الواقع على دماغه، أي: يحس بالواقع.

ت- مغالطات كبيرة وقع فيها النبهاني ما كان ينبغي أن يقع فيها:

أولًا: موضوع وجود الخالق أو إنكاره لا علاقة له لا من قريب ولا من بعيد بموضوع التفكير ودراسته.

ثانيًا: تخبطه في استخدام مفهوم العقل، والفكر، والتفكير بدل بعضهم بعضًا، وجعلهم واحدًا من حيث الدلالة.

ثالثًا: اشتراطه وجود معلومات سابقة عن الواقع شرط لحصول عملية التفكير غير صواب من حيث الواقع؛ لأن الإنسان يستطيع أن يتعامل مع الواقع ويحصل على معلومات من خلال التجارب وملاحظة ما يطرأ عليه من تغيُّر، ويصل إلى اكتشاف القانون الذي يحكمه فيسخره لحاجته، وقديمًا قيل: الحاجة أم الاختراع. وهذا يدل على أن الواقع مصدر للمعلومات وموضع للتفكير بالوقت ذاته.

رابعًا: الحمار لا يفكر رغم وجود الدماغ والإحساس بالواقع، ليس لأنه لا يملك معلومات سابقة، فالمعلومات متوفرة عند غيره، ولا يمكن أن يحصل عليها لانتفاء وجود نفس لديه، والتي هي كائن خاص منفوخة بالإنسان بواسطة الروح، وفيها نظام الوعي والتمييز والإدراك المتمثل بالفؤاد، وعندما ينزل الفؤاد في الدماغ يشكلان مع بعض القلب الذي وظيفته التعقل والسمع والبصر، وهذه الوظائف غير موجودة عند البهائم، لذا؛ لا يمكن أن تتعقل أو تفكر رغم وجود المعلومات في الواقع وإمكانية الحصول عليها.

مفهوم العلم والمعرفة

7- يقـول الله تعـالى في كتابـه العزيـز: ﴿وَعَلَّـمَ آدَمَ الأَسْـمَاء كُلَّهَـا ثُـمَّ عَرَضَهُـمْ عَـلَى الْمَلاَئِكَـةِ فَقَـالَ أَنبِئُـونِي بِأَسْـمَاء هَــؤُلاء إِن كُنتُـمْ صَادِقِـينَ. قَالُـواْ سُـبْحَانَكَ لاَ عِلْـمَ لَنَـا إِلاَّ مَـا عَلَّمْتَنَـا إِنَّـكَ أَنـتَ الْعَلِيـمُ الْحَكِيـمُ . قَـالَ يَـا آدَمُ أَنبِئْهُـم بِأَسْـمَآئِهِمْ فَلَـمَّا أَنبَأَهُـمْ بِأَسْـمَآئِهِمْ قَـالَ أَلَـمْ أَقُـل لَّكُـمْ إِنِّي أَعْلَـمُ غَيْـبَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَـمُ مَـا تُبْـدُونَ وَمَـا كُنتُـمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقـرة:31-33] .

فهـذه الآيـة تـدل عـلى أن المعلومـات السـابقة لا بـد منهـا للوصـول إلى المعرفـة، أي معرفـة، فـآدم قـد علمـه الله أسـماء الأشـياء أو مسـمياتها، فلـما عرضـت عليـه عرفهـا .فالإنسـان الأول، وهــو آدم، قــد أعطـاه الله معلومـات، ولذلـك عـرف الأشـياء، ولـولا هـذه المعلومـات لما عرفهـا.

وبمـا أن أسـاس الانحـراف في الطريـق الـذي سـلكه علـماء الشـيوعية للوصـول إلى معرفـة واقـع العقـل هـو ضرورة وجـود المعلومـات السـابقة، فـإن هـذا يكفـي لبيـان خطـأ الشـيوعيين في تعريـف العقـل، ويكفـي لبيـان وجـه الانحـراف، وأنـه حتـى يتوصـل لإيجـاد الفكـر لا بـد مـن المعلومـات السـابقة عـن الواقـع الـذي يعـرض عـلى الدمـاغ.

ت- أول أمـر خلطـه بـين دلالـة كلمـة (عَلِـم) وكلمـة (عَـرف) والنـص الـذي استشـهد بـه لا يوجـد فيـه كلمـة (عـرف) قـط، فالنـص يقـول: (علَّـم آدم) يحولهـا هـو بسـطحية إلى عـرف، ويقـول: فـآدم قـد علمـه الله أسـماء

الأشـياء أو مسـمياتها فلـما عرضـت عليـه عرفهـا. عجيـب هـذا التـصرف مـن باحـث في التفكـير والقـرءان الـذي نـزل بلسـان عـربي مبـين، كيـف تحولـت كلمـة (علـم) إلى (عـرف)؟

- يقـول: فـآدم قـد علمـه الله أسـماء الأشـياء أو مسـمياتها. ألا يوجـد فـرق بـين دلالـة كلمـة الاسـم، وكلمـة المسـمى؟ وكلمـة اسـم تـدل عـلى وظيفـة الـشيء أو نظامـه، وتعليـم أسـماء الأشـياء لا تعنـي مجـرد الألفـاظ المطلقـة عليهـا، فهـذا ليـس علـمًا ولا يصـح الفخـر بـه والتميُّز عـن الآخرين!

- أليـس آدم إنسـانًا؟ ألم يقـل الله: ﴿ اقْـرَأْ بِاسْـمِ رَبِّـكَ الَّـذِي خَلَـقَ، خَلَـقَ الْإِنسَـانَ مِـنْ عَلَـقٍ، اقْـرَأْ وَرَبُّـكَ الْأَكْـرَمُ، الَّـذِي عَلَّـمَ بِالْقَلَـمِ ﴾[العلق:1-4]

فالتعليـم للإنسـان كان بالقلـم، وكلمـة القلـم تعنـي التمييـز والتصنيـف والتهذيـب للـشيء حتـى يسـهل دراسـته و حفظـه والرجـوع إليـه ونقلـه للآخريـن.

- النـص لا يـدل عـلى فكـرة النبهـاني لا مـن قريـب ولا مـن بعيـد، وهـو بحاجـة إلى دراسـة في غـير هـذا المـكان[1].

وينقـض النبهـاني نفسـه بنفسـه عندمـا يقـول: إن الإنسـان القديـم ليـس واقعًـا محسوسًـا، وبالتـالي لا يصـح دراسـته أو القيـاس عليـه، ومـع ذلـك يقيـس عليـه، ويثبـت نتيجـة ظنـه وكأنهـا علـم ثابـت، ألا يـدل هـذا عـلى تخبُّطـه أو تعمُّـده التدليـس لتثبيـت نتائـج خاصـة بـه؟

انظروا قوله التالي كيف ينقض قوله السابق:

1 راجع كتابي دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير

فإنــه حــين يقــال: إن الإنســان الأول قــد جــرى تفكــيره عــلى الوجــه الفــلاني لا يعتــبر تفكــيرًا، لأن الإنســان الأول ليــس واقعًــا محسوسًــا، وإنمــا الإنســان الحــالي هــو الواقــع المحســوس، فيؤخــذ الإنســان الحــالي. ويبحــث ليعــرف كيــف يجــري تفكــيره، ثــم ينطبــق مــا جــرى التوصــل إليــه مــن نتيجــة البحــث عــلى جنــس الإنســان؛ لأن الجنــس الواحــد لا يختلــف، أو النــوع الواحــد لا يختلــف، وينطبــق عــلى جنســه وعــلى نوعــه كل مــا ثبــت لفــرد مــن أفــراده؛ لأنــه جنــس واحــد ونــوع واحــد.

التجربة والواقع مصدر معلومات

8- وهـذا الطفـل لـو كـبرت سـنه وبلـغ عشريـن سـنة، ولم يأخـذ أيـة معلومـات، فإنـه يبقـى كأول يـوم يحـس بالأشـياء فقـط، ولا يدركهـا مهـما كـبر دماغـه؛ لأن الـذي يجعلـه يـدرك ليـس الدمـاغ، وإنمـا هـو المعلومـات السـابقة مـع الدمـاغ ومـع الواقـع الـذي يحسـه.

ت- وهـذا الـكلام خطـأ بـيِّن ومكابـرة؛ لأن الإنسـان مـن خـلال التجربـة والتكـرار والحاجـة يصـل إلى العلـم بالـشيء ويكتشـف قانونـه ويسـخره لخدمتـه، ولـو لم يكـن عنـده ابتـداء أي معلومـات سـابقة عنـه، والواقـع شـاهد عـلى هـذا القـول، والإدراك ليـس بالدمـاغ فالحـمار عنـده دمـاغ، الإدراك وظيفـة للفـؤاد[1] في النفـس!.

1 راجـع كتـابي « دراسـة إنسـانية في الـروح والنفـس والتفكـير» للتوسـع في مفهـوم التعقـل والتفكـير والقلـب والفـؤاد والنفـس والـروح.

الفهم والتعقل وظائف للإنسان وليس للبهائم

9- فأنت إذا ضربت الجرس وأطعمت الكلب عند ضرب الجرس، فإنه إذا تكرر ذلك يفهم الكلب إذا قرع الجرس أن الأكل آت، ولذلك يسيل لعابه.

ت- هل صار الكلب يفهم عند النبهاني، أليس الفهم عملية عقلية خاصة للإنسان؟ وهل يمكن أن يصير إدراك عند الكلب أن الطعام آت؟ ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[الأنبياء:79] .

10- (لذلك فإن كون الإنسان يعرف من عوم الخشبة أنه يمكن أن يجعل من الخشب سفينة، هي مثل كون القرد يعرف أن إسقاط الموزة من قطف موز معلق يمكن أن يحصل من ضرب قطف الموز المعلق بعصًا أو أي شيء. فكله متعلق بالغرائز والحاجات العضوية، وحصوله حتى لو ربط وجعل معلومات هو عملية استرجاع وليس عملية ربط، ولذلك لا يكون عملية عقلية، ولا يدل على أن هناك عقلًا أو فكرًا).

ت- هل إن رأى الإنسان طيرًا يحلق في السماء يمكن أن يصنع مركبة فضائية دون تفكير؟

وهل إن رأى القرد خشبة يمكن أن يصنع سفينة ولا يملك تفكيرًا؟

هل صنع سفينة عند الإنسان مثل ضرب قطف موز بعصًا عند القرد؟ لا يستويان مثلًا!



عناصر عملية التفكير

11- حتى تتم العملية العقلية، أي: حتى يوجد العقل أو الفكر. فلا بد من وجود واقع. ولا بد من وجود دماغ صالح، ولا بد من وجود حس، ولا بد من وجود معلومات سابقة. فهذه الأربعة مجتمعة لا بد من تحققها جميعها وتحقق اجتماعها، حتى تتم العملية العقلية، أي: حتى يوجد عقل أو فكر أو إدراك.

وعليه فالعقل أو الفكر أو الإدراك هو: نقل الحس بالواقع بواسطة الحواس إلى الدماغ، ووجود معلومات سابقة يفسر بواسطتها هذا الواقع. هذا وحده هو التعريف الصحيح، ولا تعريف غيره مطلقًا، وهذا التعريف مُلزِم لجميع الناس.

ت- ما زال يتخبط في استخدام كل من كلمة العقل والتفكير والفكر والإدراك بمعنى واحد.

هل وجود: دماغ + حواس+ واقع+ معلومات سابقة= تفكير أو تعقل أو إدراك؟

أليس معظم الناس عندهم هذه الأمور الأربعة مجتمعة ولا يحصل تفكير أو إدراك عندهم، بل ولا يُحرِّكون ساكناً. أين جهاز التمييز الثلاثي النفسي (السمع والبصر والفؤاد)، وما هي وظيفته في التفكير وهل هو مهم أم لا؟

ألا تحتاج عملية التفكير دافع وحمل المسؤولية؟

هل يستطيع الإنسان أن يفكر دون لسان(لغة) يكون حاملًا للأفكار والمعاني وحقل وميدان لجولان التفكير به بوقت واحد؟

أليس التفكير ظاهرة اجتماعية، ولا يمكن أن يفكر الإنسان المترهب أو المنفرد بمعيشته؟

المادة تفنى!

12- وكذلك كان يقال: إن المادة لا تفنى، فظهر خطأ ذلك وتبين بالطريقة العلمية نفسها أنها تفنى.

ت- أكبر خدعة مارسها الغرب بواسطة الشيوعيين على المسلمين هي مسألة إنكار وجود خالق للكون، وذلك ليلهوا الأمة الإسلامية عن نهضتهم وتطورهم، وسرعان ما تناولت الأمة الطعم، وسارع المفكرون والباحثون في التصدي لهذه الفكرة كتابة وخطابة ودعوة، وغرقوا بذلك أكثر من ثلاثين عامًا[1] يتخبطون ويحاولون إثبات وجود خالق للكون، والشيوعيون، ومَن خلفهم يضحكون عليهم، ويسرقون خيرات البلاد ويحكمون الشعوب.

والملاحظ في معظم المفكرين الإسلاميين أنهم هجروا القرءان في دراستهم واعتمدوا على القيل والقال والمنطق الخالي من العلم، وفاتهم أن القرءان كتاب هداية للناس ومنهج في التفكير وتناول القضايا الكبرى التي تهم الناس وناقشها وفنّد شبهاتها.

تعالوا لندرس القرءان ونرى موقفه من إنكار وجود الخالق وكيف عالجها:

الدارس لكل النصوص القرءانية لا يجد أيَّ نص يناقش إثبات

1 بدأ ذلك من فترة الستينيات، واستمرت إلى أواخر التسعينيات من القرن العشرين.

وجــود خالــق للكــون، وإنمــا يناقــش مفهــوم الأحديــة للخالــق ويُفنِّــد مفهــوم الــشرك ويبطلــه، وكذلــك مفهــوم الكفــر بــالله، واعتمــد في ذلــك كلــه عــلى مُســلّمة عنــد النــاس ليســت هــي محــل نقــاش مــن أحــد، وهــي لابــد مــن خالــق وجوبًــا عقليًّــا، وضرورة نفســية، وهــذا المفهــوم لا يمكــن للإنســان أن يدفعــه مــن نفســه، وذلــك مثــل مفهــوم واحــد زائــد واحــد، جميــع النــاس عــلى مختلــف الزمــان والمــكان يقولــون بأنفســهم: اثنــين، ولا يســتطيع أن يخــدع نفســه، ولكــن يمكــن أن ينكــر ذلــك بلســانه جحــودًا واســتكبارًا، ﴿وَجَحَـدُوا بِهَـا وَاسْـتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُـهُمْ ظُلْـمًا وَعُلُـوّاً فَانظُـرْ كَيْـفَ كَانَ عَاقِبَـةُ الْمُفْسِـدِينَ﴾[النمل:14]، فمفهــوم وجــود خالــق للكــون ليــس محــل نقــاش أو برهنــة، ﴿قَالَـتْ رُسُـلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَـكٌّ فَاطِـرِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[إبراهيــم:10].

لــذا؛ مفهــوم التصديــق بوجــود خالــق للكــون لا يخضــع للبرهنــة لبداهتــه[1]، والإيمــان بــالله لا يخضــع للبرهنــة؛ لأنــه موقــف أخلاقــي وليــس عقليًّــا؛ لأنــه لا يوجــد عاقــل يطلــب برهــان عــلى الالتــزام بالقيــم والأخــلاق، فعــلى مــاذا كان يتناقــش المســلمون والشــيوعيون؟ عــلى مفهــوم بديهــي! ومــن كان المخــدوع بينهــما؟ لا شــك هــم معظــم المســلمين، ومــن الجاحــد بينهــما؟ لا شــك هــم الشــيوعيون.

1 راجع كتابي « الانتحار الفكري» للتوسع في موضوع نقاش مفهوم الإلحاد.

مفهوم الفناء

وينبغي ضبط مفهوم (الفناء) في القرءان قبل نقاش الشيوعيين، كلمة (فناء) تدل على ذهاب الشيء، وهذا لا يعني أنه صار لا شيء، اقرؤوا قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[الرحمن:26]، أي: مَن على الأرض من الكائنات وذهابهم إلى التراب الذي هو أصلهم، فمفهوم الفناء في القرءان هو رجوع الشيء إلى أصله الخام، وبمعنى آخر: تحول الشيء من صورته الفاعلة إلى صورة غير فاعلة.

وعندما قال الشيوعيون: (إن المادة لا تفنى إلى لا شيء ولا تُستَحدث من لا شيء)، هو قول ينطبق على الشيء بعد خلق الشيء ابتداء، وهذا الواقع المشاهد، فالشيء المخلوق حديثًا ليس مادته مستحدثة، وإنما يوجد من شيء آخر، وكذلك الشيء عندما يفنى لا يذهب إلى لا شيء، وإنما يتحول إلى شيء آخر، ألا ترون أن الخشب إن احترق يصير رمادًا؟ والماء إن تعرض لحرارة عالية يصير بخارًا؟

وأصل الكائنات الحية من تراب وماء ومن ثم صار تكاثرها من ماء مهين؟

إذن؛ مفهوم الشيوعيين صواب يطابق القرءان والواقع، وذلك بصرف النظر عن خطأ استخدام كلمة (الفناء) من قبل الشيوعيين، وكان الأجدر بهم أن يقولوا: (إن المادة تفنى كصورة وتتحول إلى صورة أخرى، ولا تفقد صفة الوجود الموضوعي قط)، وبالتالي يمكن تصويب

مقولتهم بجملة: (إن الشيء الموضوعي الحالي لا يصير لا شيء ولا يُستحدث من لا شيء).

والنبهاني لم يفهم مقولة الشيوعيين لحاجة في نفسه وتأثرًا بمحاولته المستميتة لإثبات وجود خالق للكون! فقال: المادة تفنى. ولم يقصد المفهوم القرءاني الذي ذكرناه، وإنما قصد ذهاب الشيء إلى لا شيء، وهذا مخالف للقرءان والعلم والواقع، وكما لاحظتم عدم ضبط المفهوم نتج عنه إشكال وسوء فهم، غير أن النبهاني يحشر مسألة إثبات وجود خالق في كل مسألة حتى في دراسته للتفكير، ومثله مثل الشيوعيين الصغار الذين استخدموا مفهوم الفناء لإنكار وجود خالق، فمفهوم الفناء صواب وعلمي، واستخدامه في إثبات وجود خالق أو إنكاره من الطرفين كان مؤدلجًا وغير علمي.

وأنا ألوم «النبهاني» الذي قدّم نفسه كمفكر إسلامي، ومؤسس حزب، وباحث في التفكير، كيف يتبنى مفهوم مخالف للقرءان وللعلم! وهذا نتيجة هجره للقرءان كمنهج في التفكير في كل دراساته وأبحاثه! وحرصه على إثبات وجود خالق للكون، وهو ثابت أصلًا.

فعدم ذهاب الشيء الموضوعي إلى لا شيء، وفنائه من صورته إلى صورة أخرى، وحدوث الشيء من شيء، لا يعني أن الشيء الموضوعي الأول هو أزلي، فثابت علميًّا ومنطقيًّا أن الشيء الأول لا بد له من بداية ضرورة لمحدوديته وقصوره، ولا بد له من موجد مغاير في وجوده للشيء سماه العلماء «واجب الوجود» علمًا وعقلًا وواقعًا، وهو أكبر حقيقة غير قابلة للبرهنة عليها لبداهتها.

ومثل ذلك مثل وجود الدائرة، فهي حادثة في وجودها ككل،

وعندما وجدت أخذت كل نقطة منها صفة إمكانية أن تكون هي البداية والنهاية، وشكلت مع النقاط الأخرى علاقة جدلية حيث تصير الدائرة لا بداية لها ولا نهاية، وهذا لا ينفي عن الدائرة ككل أن لها بداية حدوث بعد أن لم تكن، والمثل للتقريب وليس للمطابقة.

بدأ الخلق بعد أن لم يكن شيئًا

فالخالـق ابتـدأ خلـق الـشيء بعـد أن لم يكـن شـيئًا بقدرتـه الإلهيـة، وجعلـه سرمـدي في الوجـود بمعنـى لـه بدايـة وليـس لـه نهايـة، هكـذا أراده الخالـق بحكمتـه وعلمـه، واسـتمر الـشيء الموضوعـي عـلى هـذه الصفـة يفنـى ليظهـر في صـورة أخـرى ويتوالـد، ولا يصـح القـول: إن الخالـق خلـق الـشيء مـن عـدم؛ لأن العـدم هـو شيء فقـد صلاحيتـه، وهـذه الكلمـة غـير مسـتخدمة في القـرءان وهـي قريبـة مـن مفهـوم كلمـة الفنـاء، والقـول بهـا يلـزم منـه أزليـة الـشيء، ولا يصـح أيضًـا القـول: إن الخالـق خلـق الـشيء الموضوعـي مـن لا شيء، لأن الـلاشيء هـو لا شيء، ولا يخـرج الـشيء مـن لا شيء، والإسـناد لـه يُصَـيّر الـلاشيء شـيئًا.

إذن؛ ما الصواب في هذه المسألة؟

الصـواب هـو قـول الله نفسـه: ﴿أَوَلَا يَذْكُـرُ الْإِنسَـانُ أَنَّـا خَلَقْنَـاهُ مِـن قَبْـلُ وَلَـمْ يَـكُ شَـيْئًا ﴾[مريـم:67]، خلـق الله الخلـق بعـد أن لم يكـن شـيئًا، وليـس مـن شيء فـانٍ (العـدم)، ولا مـن لا شيء! وإلى هنـا يُصَـدِّق العلـم والعقـل ذلـك ضرورة، ويقـف مُتحـيرًا مـن قـدرة الخالـق كيـف خلـق الـشيء بعـد أن لم يكـن شـيئًا! .

وهـذا التحـير العقـلي هـو مـن مقومـات الإيمـان والخشـية والتعظيـم للإلـه؛ لأنـه يـدرك تمامًـا أن هـذا لا يكـون إلا للخالـق الأزلي، وإلا لمـاذا هـو إلـه أزلي؟ فيـزداد إيمانـاً وخشـية وتعظيـمًا لـه، ﴿وَمَـا قَـدَرُواْ اللّهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ

إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[الأنعام:91].

ومقولة الشيوعيين: (لا إله، والحياة مادة) هي مقولة سياسية مؤدلجة وليس مفهومًا علميًّا، وهي رد فعل على إله الكنيسة والكهنوت الديني في الغرب، فلا تصلح للنقاش علميًّا؛ لأن الإله له صفة واجب الوجود، والحياة ليست كلها مادة! أين القيم والأخلاق والشعور النبيل بين الناس؟

ولا تصلح للنقاش في الشرق! لأن الدين الإسلامي لا يوجد فيه كهنوت وكنيسة، وبالتالي من الخطأ الفاحش ترديدها في ثقافتنا ونقاشها، ومن يردِّدها في مجتمعاتنا أشبه بترديد مقولة: تعال نتناقش دون عقل أو علم !

وكذلك مقولة: فصل الدين عن الحياة أو الدولة، فهذه مقولة سياسية غربية، متعلقة بدين الكنيسة حصرًا، ولا تنسحب على كل دين، ولا تنطبق على الشرق؛ لأن الدين الإسلامي يقوم على العلم والموضوعية والبينات والقيم والأخلاق وحفظ الأسرة والحريات، فكيف تفصل هذه الأمور عن الحياة أو الدولة؟

أما افتراض أن الله يستطيع أن يفني الشيء الموضوعي بمعنى الذهاب به إلى لا شيء، فهذا افتراض باطل يصدر من إنسان لا يعلم مقومات الإله العظيم، ويقيسه على إنسان قاصر، يُعدّل في صنعته حسب ما يستجد له من العلم والتطور، ويُلغي صنعته الأساسية

لقصورهـا أو خطئهـا، فـالله عـالم حكيـم كامـل في إرادتـه وقدرتـه، وإذا أراد شـيئًا كان الـشيء وفـق مـا أراد لـه، وقـد خلـق الله الخلـق ليسـتمر وفـق سـنن تحكمـه بمرحلتـين الدنيـا والآخـرة، ولـكل منهـما قوانـين خاصـة بهـا، ﴿يَــوْمَ تُبَــدَّلُ الأَرْضُ غَــيْرَ الأَرْضِ وَالسَّــمَاوَاتُ وَبَــرَزُواْ للهِّ الْوَاحِــدِ الْقَهَّارِ﴾[إبراهيـم:48]، والفنـاء هـو تغـير في الصـورة والانتقـال إلى أخـرى، وليـس ذهـاب الـشيء إلى لا شيء، والنـاس يفنـون في الدنيـا ليبعثهـم الله في الآخـرة، والقـول بقـدرة الله عـلى الذهـاب بالـشيء إلى لا شيء، هـو مثـل القـول: إن الله يمكـن أن يضـع الأنبيـاء والصالحـين في جهنـم، ويضـع الظالمـين والمجرمـين في الجنـة! فـكلا المقولتـين ينقضـان الحكمـة والعلـم الإلهـي، وبالتـالي الافـتراض باطـل، ولا جـواب للباطـل.

مفهوم التصديق والإيمان

فإثبات وجود خالق للكون، والإيمان به مسألتان غير قابلتين للبرهنة أو النقاش، وذلك لأن التصديق بوجود خالق للكون بداهة واقعية غير قابلة للدفع في نفس الإنسان وعقله، ومسألة الإيمان به بمعنى الاتباع لمنهجه وحدوده موقف أخلاقي وقيمي، والأخلاق لا يبرهن عليها؛ لأنها مقوم أساسي في ضمير الإنسان وشعوره، فلا يحتاج العدل، والصدق، والأمانة...إلخ؛ إلى برهان، ولا يطلبه أحد أصلًا، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴾[الكهف:29].

ولا يصح أن يأتي الخطاب بكلمة (فمن شاء فليُصدق..) لأن التصديق لا يخضع للإرادة، وإنما يخضع للبرهان، وإن حصل لا يستطيع الإنسان أن يدفع التصديق به أو قبوله في نفسه، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل:14].

لذا؛ ينبغي أن يتحرر عقل المسلمين من هذا الفخ الحواري، ويكفوا عن إثبات ما هو ثابت بالضرورة، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدين، ويرجعوا إلى دراسة القرءان والعلم والواقع لينهضوا بأنفسهم ومجتمعهم وبلادهم وفق التعايش الإيجابي، والتماسك الوطني، والتعارف الإنساني، والنهضة بالعباد والبلاد على محور الثابت والمتغير(الحنيف) للحريات والواجبات.

رأس الحكمة محبة الله

13- والحكيم الذي قال: رأس الحكمة مخافة الله، ليس مفكرًا مستنيرًا، فإن رأس الحكمة إدراك وجود الله، وليس مخافة الله.

ت- من المعروف أن الخوف من الله يأتي بعد التصديق بوجوده وليس قبله، والتصديق بوجود خالق للكون مسألة فطرية بديهية تحققت في نفوس الناس جميعًا، مثل إبليس وفرعون وهامان وقارون وأبي جهل وأبي لهب...إلخ، وهذا شيء ضروري لتحقيق الحكمة الإلهية والرحمة وإقامة الحجة على العباد، وهذا الإدراك الفطري لا يحتاج إلى تفكير أصلًا، فهو الحد الأدنى للتعقل، ومن باب أولى نفي التفكير المستنير عنه!.

وبالتالي فإدراك وجود خالق للكون ليس فكرًا مستنيرًا، ولا يحتاج حكمة أصلًا، والصواب هو مقولة: رأس الحكمة مخافة الله، والأحسن منها هو رأس الحكمة محبة الله، وقائلها صاحب تفكير مستنير.

الفرق بين التعقل والتفكير المستنير

14- فالأعرابي الذي قال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، هو مفكر مستنير.

ت- إن سماع الطرق على الباب وإدراك وجود طارق مسألة لا تحتاج إلى تفكير ودراسة وتدبر، وإنما تحتاج إلى تفاعل مع الواقع بالحد الأدنى الذي هو التعقل لما يجري حول الإنسان من أحداث فيصل إلى معرفة أسبابها أو فاعلها، وبالتالي فصاحب هذه المعرفة والإدراك لم يستخدم التفكير أصلًا، وبالتالي ينتفي عنه صفة التفكير المستنير.

مفهوم القراءة والكتابة

15- ومن هنا كان من الخطأ أن يظن أحد أن تعلُّم القراءة والكتابة يعلم الناس أو ينهض الأمم. فكان من الخطأ أن توجد عناية بإزالة الأمية من أجل تعليم الناس وأن يوجه الجهد لمحو الأمية من أجل إنهاض الشعب أو الأمة؛ لأن القراءة والكتابة لا تغذي العقل بشيء، ولا تبعث لا في النفس ولا في العقل أي دافع للتفكير.

ت- النص كله مضطرب في استخدام الكلمات المهمة المحورية بشكل خطأ التي هي:

- القراءة من قرأ التي تدل على التدبر والتفكر والدراسة، ولا يشترط لها التلاوة من مخطوط. لذلك كان النبي قارئًا بهذا المعنى، وأمره الله أن يقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق:1].

- الكتابة من كتب تدل على جمع شيء من جنس واحد سواء أكان معنويًّا أم ماديًّا.

وسمِّي الكاتب كاتبًا؛ لأنه يجمع الأحرف والكلمات مع بعضها سواء نسخها على الصحف والورق أم في ذهنه فقط كتأليف، ومن هذا الوجه فالنبي كان كاتبًا ويُملي ما يريد على النساخ فيخطون كلامه.

والمنفي عن النبي في القرءان هو عملية الخط على الصحف أو

الألـواح، وتـلاوة هـذا الخـط، ولكـن كان يقـرؤه عندمـا يتلـوه أحدهـم لـه[1]، وكان يكتـب الرسـائل للملـوك مـن خـلال إملائهـا عـلى النسـاخ.

- الأميـة مـن الأم التـي تـدل عـلى المركـز والأصـل والمرجـع، والنبـي الأمـي مـدح لـه وليـس ذمًّـا، وتعنـي الإمامـة والأصـل والمرجـع وأنه ينتسـب إلى أم القـرى.

وعـدم معرفـة الخـط أو تـلاوة المخطـوط لا يسـتلزم منهـما عـدم معرفـة القـراءة والكتابة.

وبنـاء عـلى ذلـك فالقـراءة والكتابـة أمـران مهـمان لنهضـة الشـعوب بهـذا المعنـى، ومعرفـة الخـط وتلاوتـه هـما أدوات لازمـة وتقنيـة لتوثيـق العلـم والمعلومـات والجدولـة؛ لأن التقليـم شيء أسـاسي للعلـم وحفظـه.

1 انظر كيف كان الدكتور «طه حسين» يكتب ويقرأ وألف كتبًا؛ وهو أعمى!

المشاعر جمع مَشعر وليس جمع شعور

16- فيهز مشاعرهم، ويبعث فيهم ما يقتضيه هذا الانفعال من غبطة ورضا، أو سخط وغضب.

ت- كلمة (مشاعر) جمع كلمة (مَشعر) ﴿ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:198]، وهي من الخطأ الشائع، والصواب استخدام كلمة (الشعور) بدل منها.

الفلاسفة كفار

17- ولذلـك فـإن جميـع مـن يسـمون بفلاسـفة المسـلمين أو فلاسـفة الإسـلام كفـار، لا فـرق بـين ابـن سـينا والفـارابي، ولا بـين ابـن رشـد والكنـدي.

ت- أتى خطـأ النبهـاني مـن عـدم التفريـق بـين دلالـة كلمـة (الكفـر) وكلمـة (الكافـر) التـي هـي اسـم فاعـل، فكلمـة الكفـر تطلـق عـلى موقـف سـلوكي يغطـي الحقيقـة بجهـد سـواء بقصـد أم غفلـة أم خطـأ، فهـو حكـم متعلـق بالسـلوك وليـس بالشـخص، وهـو حكـم قابـل للتجـزيء، بمعنـى إن المسـلم يمكـن أن يصـدر سـلوك منـه دون قصـد أو خطـأ ينتـج عنـه تغطيـة الحقيقـة، فيكـون هـذا الموقـف منـه كفـرًا وليـس هـو كافـرًا، والتصـورات الفلسـفية للحيـاة والكـون ومـا بعـد الحيـاة ومـا قبلهـا، يمكـن أن تكـون صوابًـا أو خطـأً أو كفـرًا إن كانـت تغطيـة للحقيقـة، وبـصرف النظـر عـن قصـد صاحبهـا أو حالـه، بينـما كلمـة (الكافـر) اسـم فاعـل تطلـق عـلى الإنسـان الـذي اتخـذ الباطـل منهجًـا يحـارب الحـق ويعاديـه، فهـذا هـو الكافـر في القـرءان، فهـل كان الفلاسـفة المسـلمون يحاربـون الحـق والإسـلام وأعـداء الله ورسـوله؟

والجـواب قطعًـا بالنفـي فهـم مسـلمون آمنـون مفكـرون باحثـون عـن الحقيقـة أخطـؤوا أم أصابـوا أم كفـروا في بعـض أفكارهـم، فهـذا ليـس بمـبرر لأن يكونـوا كفـارًا أو كافريـن.

منع دراسة غير التشريع الإسلامي

18- وذلـك أنَّـا بوصفنـا مسـلمين لا يحـق لنـا أن نبحـث إلا في التشريـع الإسـلامي. لأن الأمـر الجـازم الـذي تحتمـه عقيدتنـا يحـصر تفكيرنـا بالتشريع الإسـلامي وحـده. وأمـا غـير التشريـع الإسـلامي فـلا يحـق لنـا أن نبحثـه حتـى ولا أن نقـرأه.

ت- مـا علاقـة قـراءة أو دراسـة أو مقارنـة التشريعـات الإنسـانية بالتشريـع الإلهـي بالتطبيـق أو الإيمـان؟ لمـاذا هـذا الجمـود والتنطـع؟

مفهوم الرعاية للمواشي

19- والتفكير السياسي هو لرعاية شؤون الناس.

ت- لا يصح استخدام كلمة (الرعاية) للناس، فهي دخيلة من الثقافة اليهودية، وهي للبهائم خاصة﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى ﴾[طه:54]؛ لأن الرعاية موجهة فائدتها للراعي، فنحن نرعى العجل لنسمنه ونأكله، واستبدالها بكلمة (العناية) الموجهة فائدتها إلى المعتنى به، فالله يعتني بنا ولا يرعانا.

وكذلك لا يصح استخدام كلمة (السياسة) فهي من ساس يسوس سياسة، متعلقة بالخيل أو بالكائن البهيمي، وعندما تستخدم للناس فيقصد بها المسايرة والخداع والمداهنة لتجعله يفعل ما تريد منه وتحصل على حاجتك. وينبغي البحث عن كلمة أفضل منها، ولعل كلمة (إدارة) أقرب للمعنى والمقصد في التعامل مع الناس واحترامهم والحفاظ على حقوقهم دون خداعهم.

تحريم كولونيا العطر

20- وحين يقرأ ليعرف حكم الكلنيا، أي: ما يسمى بالكولونيا يكفي أن يعرف أن المسكر حرام، وأن الكلنيا مسكر وهكذا.

ت- المنهي عن تناوله هو المادة التي تُغيب العقل والوعي، ما علاقة الكولونيا في ذلك وهي تستخدم للعطور وليس للشراب؟

التفكير السياسي ليس مجرد تتبع الأخبار

21- كل منهم في مقدوره أن يفكر تفكيرًا سياسيًّا، وفي مقدوره أن يكون سياسيًّا؛ لأنه لا يتطلب درجة معينة من العقل ولا درجة معينة من المعرفة، بل يتطلب تتبع الوقائع والحوادث الجارية، أي: تتبع الأخبار، ومتى وجد هذا التتبع وجد التفكير السياسي.

ت- لقد ذكر النبهاني في كتابه أن التفكير السياسي هو أرقى نوع من التفكير وأعلاه درجة فصاحبه مستنير الرؤية، فهل هذه الدرجة الراقية يصل إليها الإنسان من مجرد التتبع للأخبار في الصحف والوسائل المسموعة أو المرئية؟ هذا العمل يصنع إنساناً صحفيًّا جامعًا للأخبار وليس مفكرًا سياسيًّا!

نقد إجماع الصحابة

قـال الشـيخ «تقـي الديـن النبهـاني» في كتابـه الشـخصية الإسـلامية الجـزء الثالـث:

(إن إجـماع الصحابـة يرجـع إلى النـص الشرعـي ذاتـه، فهـم لا يُجمعـون عـلى حكـم إلا وكان لهـم دليـل شرعـي، مـن قـول الرسـول، أو فعلـه، أو تقريـره. قـد اسـتندوا إليـه فيكـون إجماعهـم قـد كشـف عـن دليـل شرعـي، وهـذا لا يتـأتى لغـير الصحابـة؛ لأنّهـم هـم الذيـن شـاهدوا النبـي عليـه السـلام، وعنهـم أخذنـا ديننـا.

فكان إجماعهم هو الحجة، وما عداهم ليس بحجة.

إذن؛ الصحابـة مـا أجمعـوا عـلى شيء إلاّ ولهـم دليـل شرعـي عـلى ذلـك. لم يـرووه. فيكـون إجـماع الصحابـة دليـلًا شرعيًّـا بوصفـه يكشـف عـن دليـل وليـس بوصفـه رأيًـا لهـم. فاتفـاق آراء الصحابـة عـلى أمـر لا يُعتـبر دليـلًا شرعيًّـا، وإجماعهـم عـلى رأي مـن آرائهـم لا يُعتـبر دليـلًا شرعيًّـا. بـل إجماعهـم عـلى أنّ هـذا الحكـم حكـم شرعـي، أو عـلى أنّ الحكـم الشرعـي في واقعـة كـذا هـو كـذا، أو أنّ حكـم الواقعـة الفلانيـة شرعًـا هـو كـذا، هـذا الإجـماع هـو الدليـل الشرعـي.

فإجـماع الصحابـة المعتـبر إنمـا هـو الإجـماع عـلى حكـم مـن الأحـكام بأنـه حكـم شرعـي، فهـو يكشـف عـن أنّ هنـاك دليـلًا شرعيًّـا لهـذا الحكـم رووا الحكـم ولم يـرووا الدليـل).

وعلى هذا الكلام مؤاخذات جمة:

1- إيهـام القـارئ بـأنّ الإجـماع مصـدر غـير الكتـاب، والسـنة، وهـو ليـس كذلـك عندهـم.

2- مـا أطلقـوا عليـه اسـم الإجـماع هـو في الحقيقـة باعترافهـم، نقـلٌ لمعنـى، ومدلـول النـص دون اللفـظ. بـصرف النظـر كيـف ينقـل ذلـك عـن الصحابـة، سـواء كان بشـكلٍ متواتـر أو آحـاد.

3 - تسليمهم بإمكانية اندثار النص، وبقاء الحكم.

4 - اتفاق الصحابة على إهمال رواية النص.

وكـما هـو واضـح بشـكل جـلي مـن قولهـم السـابق: (رووا الحكـم ولم يـرووا الدليـل) أنّ مسـألتهم هـي بمثابـة النقـل للنـص بالمعنـى دون اللفـظ بشـكل متواتـر، وسـموا ذلـك إجماعًـا مجـازًا، وأضافـوه للمصـادر الشرعيـة؛ اللذيـن هـما الكتـاب، والسـنة، كمصـدر ثالـث ولكـنْ بشـكل صـوري فقـط؛ إذ هـو بعـد التحقيـق مـا هـو إلا نـص شرعـي، ولذلـك عُومـل معاملـة النـص مـن حيـث التخصيـص للقـرءان، والنسـخ للحديـث النبـوي ومـا شـابه ذلـك؛ لأنّـه عندهـم هـو نـص شرعـي كغـيره، وهـذا تدليـس مـا بعـده تدليـس، فلـماذا أفـردوه وحـده؟ وأوهمـوا الأمـة أنـه غـير الكتـاب، والسـنة واعتـبروه مصـدرًا ثالثًـا؟.

وبعـد جـلاء الحقيقـة وفهـم قـول مـن يقـول بحجيـة إجـماع الصحابـة حـصرًا. وتبـين أنّ ذلـك لا يسـمى إجماعًـا، وإنمـا هـو بمثابـة النقـل المتواتـر للنـص الشرعـي، ولكـن بالمعنـى دون اللفـظ. وهـذا أمـر معـروف في علـم الحديـث.

نعلـم أنـه لا إجـماع عنـد هـؤلاء بالمعنـى المطـروح الـذي هـو الإجـماع الاجتهـادي لا للصحابـة، ولا لغيرهـم مـن أمـة محمـد وكلهـم أمـام شرع الله سـواء[1].

بيـدَ أن هنـاك أمـراً، وهـو عـلى درجـة مـن الأهميـة، ألا وهـو تسـليمهم بإمكانيـة اندثـار النـص الشرعـي مـع بقـاء حكمـه. فكيـف يتـأتى بقـاء الحكـم مـع ذهـاب الوعـاء الـذي يحفظـه، ويوصلـه للآخريـن، ألا وهـو اللفـظ.

وقـد ردّ هـذه الشـبهة الإمـام ابـن حزم بشـكل مطـول في كتابـه الأصولي[2]؛ حيـث قـال: ((لا إجـماع إلَّا عـلى نـص. وذلـك النـص: إمـا كلام منـه عليـه السـلام، فهـو منقـول ولا بـدّ محفـوظ حـاضر. وإمّـا عـن فعـل منـه عليـه السـلام، فهـو منقـول أيضًـا كذلـك. وإمّـا إقـراره فهـي أيضًـا حـال منقولـة محفوظـة)). وهـذا طبيعـي؛ لأنّ الله سـبحانه تعبدنـا بأوامـر ونـواهٍ، وهـذا يقتـضي حفظهـا واسـتمرار وجودهـا إلى مـا شـاء الله تعـالى.

1 راجع كتابي دراسة أصولية للآحاد والنسخ والإجماع

2 الإحكام في أصول الأحكام.

نقد قاعدة: الأصل في الأفعال التقيد

لقد ذهب بعض العلماء في التفريق بين الأفعال المتعلقة بالأشياء المادية، نحو: فعل الطعام والشراب وفعل السكن والركوب والزراعة والصناعة...إلخ، والأفعال المتعلقة بالأشياء المعنوية، نحو: فعل البيع والشراء وما يترتب على حركة الإنسان في المجتمع من عقود ومعاملات وأحكام الدولة وأنظمتها...إلخ، فقالوا: إن الأفعال المادية يأتي حكمها في الكتاب بأحد وجهين لا ثالث لهما الحلال أو الحرام.

وعموم الأدلة وسياقها تدل على أن الأصل في حكم هذه الأشياء المادية هو الإباحة بخلاف التحريم فلا بدّ له من نص يدل عليه عينًا، فسكوت المشرع عن حكم شيء مادي يدل على إباحته، وبالتالي فحكم الإباحة له لا يحتاج إلى دليل بعينه لدخوله في عموم الإباحة بينما التحريم يحتاج لدليل بعينه. وصاغوا القاعدة على الشكل التالي: [الأصل في الأشياء - الأفعال المادية- الإباحة إلا النص].

أما الأفعال المعنوية -البيع والشراء والمعاملات والعقود- فلقد تنوع حكمها في الشرع من واجب إلى حرام إلى مباح، ولا يوجد فعل لا حكم له من منطلق أن الشرع قد تم واكتمل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾[المائدة:3].

وكون الأصل في حركة الإنسان الواعي هو المسؤولية التي يترتب عليها الحساب: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[الصافات:24] وجب على

الإنسـان أن يعـرف حكـم كل فعـل بعينـه قبـل أن يقـدم عليـه، وعـدم وجـود نـص يتنـاول حكـم الفعـل عينًـا لا يـدل عـلى إباحتـه وإنمـا يجـب عـلى الإنسـان أن يتوقـف عـن الفعـل فـلا يعملـه ويبحـث في الـشرع عـن حكـم هـذا الفعـل؛ لأن الـشرع ضرورة يحتـوي حكـم الفعـل، وهـو بحاجـة إلى مـن يسـتنبطه ويخرجـه مـن كمونـه في دلالات النصـوص.

وصاغـوا القاعـدة عـلى الشـكل التـالي: [الأصـل في الأفعـال- المعنويـة- التقيـد بالنـص].

ومـن خـلال نقـاش ودراسـة الفـرق بـين القاعدتـين نلاحـظ أنهـم اعترفـوا أن الحكـم الشرعـي لا يتنـاول الأشـياء بعينهـا، أي: حكـم الإباحـة أو التحريـم غـير متعلـق بلحـم الخنزيـر والميتـة مثـلاً، وإنمـا متعلـق بفعـل الإنسـان إذا تنـاول لحـم الخنزيـر والميتـة. فالحـرام هـو فعـل أكل لحـم الخنزيـر وليـس لحـم الخنزيـر ذاتـه، وإلا وجـب عـلى المسـلمين أن يلاحقـوا الخنازيـر في العـالم ويقومـوا بإبادتهـا مـن الوجـود!.

فحكـم المـشرع موجـه إلى أفعـال الإنسـان وليـس إلى الأشـياء؛ لأنـه لا يوجـد فعـل دون محـل لظهـوره في الواقـع وليـس هـو إلا الـشيء، فالفعـل مرتبـط بالـشيء، والحكـم متعلـق بالفعـل، وذلـك نتيجـة أثـر الـشيء في الواقـع نفعًـا أو ضرًّا، فالعلاقـة بينهـما علاقـة جدليـة؛ إذ لا وجـود للحكـم دون وجـود فعـل يتعلـق بـه الحكـم وشيء يكـون محـلًّا للفعـل.

إذن؛ الحكم في القاعدتين باعترافهم يتعلق بالأفعال وليس بالأشياء.

أمـا تفريقهـم بـين الأفعـال بـأن أحدهـما مـادي والآخـر معنـوي فهـو تفريـق ذهنـي لإثبـات تصـورات ومفاهيـم مسـبقة، أمـا في القـرءان فـلا

فـرق بينهـما أبـدًا فكلاهـما متداخـلان ببعضهـما. انظـر عـلى سـبيل المثـال لفعـل الـزكاة وكيـف هـو متعلـق بالأشـياء الماديـة وكيـف تأخـذ هـذه الأشـياء حيوانـات، نباتـات، حكـم الوجـوب ضمـن شروط معروفـة في كتـب الفقـه، فالأشـياء أيضًـا تأخـذ حكـم الوجـوب وغـير محصـورة بالإباحـة أو التحريـم، وانظـر أيضًـا لفعـل البيـع كيـف أطلـق الله حكـم إباحتـه بقولـه: ﴿ وَأَحَـلَّ اللّهُ الْبَيْـعَ وَحَـرَّمَ الرِّبَـا ﴾ [البقـرة:275].

وكلمـة البيـع تشـمل كل العلاقـات التجاريـة اللامتناهيـة؛ لأنّ لـكل زمـن طريقـة وصـور لبيوعهـم فالنـص صريـح بإباحـة شـكل البيـوع كلهـا إلا مـا ورد النـص بتحريمـه[1].

أمـا قولهـم: إن الأصـل في حركـة الإنسـان الواعـي هـو المسـؤولية والمحاسـبة، وهـذا يترتـب عليـه معرفـة حكـم كل فعـل قبـل أن يفعلـه، وبالتـالي فالأصـل في الأفعـال التقيـد بالحكـم الشرعـي، وعـدّوا ذلـك قاعـدة أصوليـة متعلقـة بأفعـال العبـاد ومحلهـا مـادة أصـول الفقـه.

فهـذا العـرض والتحليـل مغالطـة وتدليـس متعمـد لإثبـات مفاهيـم وتصـورات مسـبقة عـن مـشروع في الذهـن متعلـق بنظـام الدولـة ومؤسسـاتها، فقامـوا بعمليـة إدخـال واسـتخدام قاعـدة إيمانيـة في مجـال أصـول الفقـه، ويوجـد فـرق كبـير بـين المجالـين.

فقولهـم: إن الأصـل في حركـة الإنسـان الواعـي المسـؤولية والمحاسـبة

1 ومـن جمـود الفهـم عنـد النبهـاني عـلى القاعـدة التـي وضعهـا اضطـر أن يسـتقرئ صـور البيـوع والعقـود التجاريـة والاقتصاديـة والماليـة المتاحـة والمسـتخدمة في مجتمـع الصحابـة وحصرهـا بصـور خمسـة التـي ذكرهـا في كتـاب النظـام الاقتصـادي هـي المبـاح وغيرهـا حـرام، واسـتدل عـلى أن هـذه الصـور حصـل عليهـا إجـماع الصحابـة رغـم أن ذلـك مخالـف لتعريـف الإجـماع الـذي وضعـه وهـو اتفـاق الصحابـة وتصريحهـم عـلى أن حكـم هـذه المسـالة الشرعـي هـو كـذا رووا الحكـم وأهملـوا النـص الدينـي الـذي اعتمـدوا عليـه!. والنبهـاني لا يقـول بالإجـماع السـكوتي أصـلًا

صواب في حد ذاته، وهي مسألة متعلقة بمادة أصول الفكر – الإيمان- وليس بمادة أصول الفقه، فمفهوم الحرية يقتضي المسؤولية، ومفهوم المسؤولية يقتضي المحاسبة، ومفهوم الحساب يقتضي من الإنسان معرفة حكم أفعاله قبل فعلها ليتقيد بها.

فهذا الموقف كله إنما هو موقف إيماني- فكري - وبعد ذلك الموقف الإيماني يأتي دور العمل في ساحة الحياة العملية، ومن منطلق إيماني بما سبق يسأل المؤمن ربه عن الأحكام التي يجب أن يلتزم بها في ميدان الحياة، فيخبره الرب أن المقصد من وجوده في هذه الحياة الدنيا إنما هي علاقة متبادلة. تبدأ بعلاقة الدنيا بالإنسان بكونها مُسخَّرة له، وعلاقة الإنسان بالدنيا كونه خليفة فيها، وبمجموع هاتين العلاقتين يتكون مفهوم دار المسؤولية والابتلاء.

فوظيفة تسخير الأرض للإنسان تقتضي إطلاق يده في عملية استخدامها، ويأتي مقام الخلافة للإنسان ليحدد الضوابط ويضع التوجيهات لتنظيم حركة الإنسان الواعي بكل من حوله، فمن طبيعة مقام الخلافة هو حرية التحرك ضمن ثوابت؛ لأن غياب حرية التحرك ينفي مقام الخلافة ويصير مقام عبودية كونه فقد صفة الحرية، وغياب الجانب الثابت ينفي أيضًا مقام الخلافة ويصير مقام الملك كونه يتحرك بملء إرادته حسبما يشاء.

إذن؛ مقام الخلافة هو مقام الإنسان الحر المسؤول، وهذا يقتضي ضرورة إطلاق يده في اتخاذ القرار المناسب بالمكان المناسب لتحقيق أحسن النتائج ضمن الإمكانيات الموجودة، وكل ذلك بشرط أن لا يتجاوز أو يتعدَّى حدود المُستخلف - الخالق -.

وبنـاءً عـلى مفهـوم التسـخير: ﴿وَسَـخَّرَ لَكُـم مَّـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًـا مِّنْـهُ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـاتٍ لَّقَـوْمٍ يَتَفَكَّـرُونَ﴾[الجاثيـة:13].

ومفهـوم الخلافـة ﴿وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّي جَاعِـلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَـةً﴾[البقـرة: 30]

ومفهـوم الحريـة: ﴿وَقُـلِ الْحَـقُّ مِـن رَّبِّكُـمْ فَمَـن شَـاء فَلْيُؤْمِـن وَمَـن شَـاء﴾[الكهف:29].

ومفهـوم أن الدنيـا دار ابتـلاء: ﴿الَّـذِي خَلَـقَ الْمَـوْتَ وَالْحَيَـاةَ لِيَبْلُوَكُـمْ أَيُّكُـمْ أَحْسَـنُ عَمَـلًا وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْغَفُـورُ﴾ [الملـك:2].

تكـون قاعـدة: [الأصـل في الأفعـال التقيـد بالنـص] صحيحة مـن الجانب الإيمـاني والفكـري وغـير صحيحـة في مـادة أصـول الفقـه؛ لأن المـشرع نفسـه قـد أعطـى للإنسـان مقـام الخلافـة؛ حيـث أطلـق يـده في عـمارة الأرض وتسـخيرها لمصلحتـه ضمـن ضوابـط وتوجيهـات غـير مسـموح بتجاوزهـا.

إذن؛ الإنسـان ينطلـق مـن قاعـدة: [الأصـل في الأفعـال التقيـد بالنـص] إيمانيًّـا، وعندمـا يدخـل في مجـال الفقـه يجـد أن المـشرع قـد وضـع لـه حكـمًا عامًّـا للأفعـال وهـو: [الأصـل في الأفعـال الإباحـة إلا مـا ورد النـص به] ومـن منطلـق إيمـاني يتقيـد بهـذه القاعـدة فتكـون الأولى مدخـلًا للثانيـة، ولا فـرق بـين الأفعـال سـواء تعلقـت بـشيء مـادي أم معنـوي فكلاهـما فعـل للإنسـان الأصـل فيـه الإباحـة إلا مـا ورد النـص بـه[1].

فصـور البيـوع ومـا يترتـب عليهـا مـن معامـلات وعقـود لا متناهيـة، الأصـل فيهـا الإباحـة إلا مـا ورد النـص بـه.

1 يقصد بكلمة النص في القاعدة النص القرءاني فقط فهو المصدر التشريعي.

ونظـام الدولـة ومؤسسـاتها خاضعـة للتطـور المعـرفي والأدواتي للمجتمعـات الإنسـانية فـلا يوجـد شـكل معـين للدولـة في الـشرع، وإنمـا هـي مندرجـة تحـت القاعـدة [الأصـل في الأشـياء -الماديـة والمعنويـة - الإباحـة إلا مـا ورد النـص بتحريمـه].

ما ترتب على الادِّعاء بأن الإجماع مصدر شرعي

من أهم المسائل التي ترتبت على القول بمصدرية الإجماع شرعًا، مسألة: أن البيعة للحاكم يجب أن تكون دائمة غير محدودة بزمن، وذلك من خلال الممارسة التي تمت في زمن الصحابة، وعدم اشتراط الزمن حينئذ في عملية البيعة، فقالوا: هذا إجماع من الصحابة على أن البيعة للحاكم يجب أن تكون دائمة شرعًا.

وقد ثبت لدينا أن الإجماع ليس مصدرًا شرعيًّا، وإنما هو أسلوب سياسي إداري، يمارس لأخذ رأي علماء الأمة فيما يصلح للأمة، والتشريع الإلهي هو تشريع حدودي، وليس عينيًّا. مما يؤكد أن مسألة البيعة للحاكم وتحديدها بزمن معين هو أمر راجع لما تراه الأمة في مصلحتها.

ومن خلال دراسة التاريخ، والممارسات السياسية الاستبدادية، نلاحظ أنه ليس من مصلحة الأمة ترك البيعة مطلقة دون تحديدها بزمن، فيجب أن تحدد البيعة بزمن، وأن ينص الدستور على ذلك.

فعقد البيعة هو اتفاق بين فريقين قائم على التراضي، الفريق الأول: يمثل الأمة، والفريق الثاني: يمثل المرشح للحكم؛ حيث يتعهد الفريق الأول بالسمع والطاعة والنصرة للفريق الثاني، ويتعهد الفريق الثاني بتطبيق الدستور واحترامه وعدم الخروج عليه، وأن يكون حاكمًا عادلًا، يسهر على مصلحة الأمة، ولا يكلفها ما لا تطيق، ويسير بها في طريق النهضة والرقي.

فعقد البيعة، من حيث أنه عقد، فهو كباقي العقود، ويحقّ للفريق الأول بكونه هو الأصل في العقد أن يضع ما يشاء من شروط ممكنة التطبيق، ولا تخلّ بمضمون العقد، ولا تحل الحرام، ومسألة تحديد البيعة بزمن، إنما هو شرط من الشروط التي يجب أن ينص عليها الدستور، وينزل في عقد البيعة، والناس عند شروطهم، والعقد شريعة المتعاقدين. فعقد البيعة، ليس هو من حيث المضمون كعقد البيع بمجرد إتمام العقد، يفقد الفريق الأول صلاحيته فيما تمّ عليه العقد، وينتقل ذلك إلى الفريق الثاني.

فعقد البيعة ليس هو عقد نقل ملكية من طرف إلى آخر، فالشعب لا يبيع إرادته وكرامته للحاكم، وبالتالي يصير الشعب من مُلكية الحاكم عبدًا ذليلًا له، وإنما الأصل في عقد البيعة هو الفريق الأول الممثل بالشعب، وعند إتمام العقد لا يعني ذلك أن الشعب فقد صلاحيته وتأثيره؛ لأنه هو الأصل ومركز القوة، فالعقد ليس عقد بيع، وإنما هو عقد بيعة مشروطة. فكما أنّ الأمة لها الحق في تولية الحاكم، فهي كذلك لها تمام الصلاحية والحق في خلعه متى شاءت لظروف تقتضيها المصلحة العامة التي يقررها مجلس الشعب، الذي يجب أن ينص الدستور على صلاحيته خارجيًّا وداخليًّا واقتصاديًّا.

ومن المسائل الخطيرة التي اعتمد المسلمون فيها على مصدر الإجماع الشرعي المزعوم، هو ادعاؤهم بأن الإسلام قد نصّ على شكل دولة معين، وذلك من خلال الممارسة السياسية التي قام بها الصحابة في صدر الإسلام، وعدّوا ذلك الشكل هو مجموعة من الأحكام الشرعية التي ثبتت بإجماع الصحابة عليها ففرضوا للدولة شكلًا معينًا، وأعطوه صفة الاستمرار والديمومة.

ومـن المعلـوم أن شـكل الدولـة هـو أمـر يخضـع للتطـور المعـرفي الإنسـاني عـبر الزمـان والمـكان، والدولـة هـي جهـاز إداري ضخـم يقـوم بـإدارة زمـام مجتمـعٍ مـا مـن خـلال تشريـع يضعـه علـماء الأمـة عـلى مختلـف اختصاصاتهـم ويقـرّه مجلـس الشـعب، بـشرط أن لا يتجـاوز شرع الله سـبحانه الحـدودي.

فالدولـة هـي بنيـة فوقيـة لبنيـة تحتيـة، هـي الأسـاس لهـا، وهـي التـي قامـت بفرزهـا، فليـس في الإسـلام شـكل دولـة؛ لأنّ الإسـلام يحتـوي عـلى شرع حـدودي دائـم إنسـاني، والدولـة هـي تفاعـل الأمـة في زمـن معـين مـع شرع الله سـبحانه الحـدودي، فتضـع تشريعًـا مؤقتًـا إقليميًّـا خاصًّـا لهـا لا يتجـاوز ولا يخـرج عـن شرع الله الحـدودي، والدولـة ضرورة اجتماعيـة وليـس واجبًـا دينيًّـا، وينبغـي فصـل الديـن عـن الحكومـة والسياسـة؛ لأنهـا تقـوم عـلى الإكـراه والسـلطة بخـلاف الديـن، فهـو يقـوم عـلى الحريـة والقناعـة الفكريـة، وفصـل الديـن عـن الحكومـة والسياسـة لا يعنـي فصلـه عـن الدولـة، بـل يكـون الديـن مصـدراً رئيسـيًّا لدسـتور الدولـة حينـما يحمـل المجتمـع الديـن ثقافـة لـه ويتبنـاه في حياتـه الاجتماعيـة.

وليست الدولة كما يعرّفها المسلمون؛ بأنها خليفة يطبق الشرع.

فالدولـة ليسـت رجـلًا واحـدًا هـو الآمـر الناهـي، ظـل الله في الأرض، بيـده مفاتيـح خزائـن أمـوال وثـروات الأمـة، يعطـي مـن يشـاء، ويمنـع مـن يشـاء بيـده الأمـر أولًا وآخـرًا، نحـو: الممارسـات السياسـية التـي مارسـها الأمويـون، والعباسـيون.

فهـذه الصـورة ليسـت دولـة إنسـانية راقيـة مدنيـة، وإنمـا هـي دولـة العبوديـة، والهبـوط والانحطـاط الإنسـاني. والأغـرب أن المسـلمين يصرحـون

بـأن السـلطان للأمـة، ولكـن يحجِّمـون هـذا السـلطان، ويفرِّغونـه مـن محتـواه، ويجعلونـه فقـط في توليـة الحاكـم، وبعدئـذ لا سـلطان للأمـة وتصير أمـة مغلوبـة عـلى أمرهـا تتحمـل وزر سـوء الاختيـار ربمـا قرونًـا، كـما حـدث ذلـك في التاريـخ، مـع العلـم أن واقـع كلمـة السـلطان للأمـة يظهـر بعمليـة خلـع الحاكـم وليـس بتوليتـه.

والأغـرب مـن ذلـك أيضًـا هـو قـول المسـلمين: إن نظـام الدولـة هـو نظـام بـشري وليـس نظامًـا إلهيًّـا، ولكـن أثنـاء التطبيـق والدراسـة يُعطونـه صفــة النظــام الإلهــي، وذلــك بإعطائــه صفــة الأحــكام الشرعيــة التــي يســتندون بهــا عــلى الإجــماع المزعــوم، أو وضــع قاعــدة أصوليــة هــي: [الأصـل في الأفعـال التقيـد] وهـي خـلاف الصـواب في الواقـع؛ لأنّ الأصـل في أفعـال النـاس الإباحـة، ولا تكليـف إلا بـشرع، والـشرع ينـص عـلى المحظـور، والممنـوع، ويطلـق المبـاح مـن خـلال الأصـل، وذلـك اسـتدلالًا بقولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّي جَاعِـلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَـةً ﴾[البقـرة:30]. وبقولـه: ﴿وَسَـخَّرَ لَكُـم مَّـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًـا مِّنْـهُ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـاتٍ لِّقَـوْمٍ يَتَفَكَّـرُونَ ﴾ [الجاثيـة:13].

لـذا؛ وبعـد معرفـة أن الإجـماع ليـس مصـدرًا شرعيًّـا، وإنمـا هـو مصـدر سـياسي يجـب عـلى الأمـة أن تأخـذ دورهـا في الحيـاة، وتختـار شـكل الدولـة الـذي يلائمهـا في زمنهـا. ويحفـظ لهـا سـلطانها. فالمهمـة المناطـة بعلـماء الأمـة كبـيرة جـدًّا، يجـب عليهـم إعـادة تشـكيل عقـل الأمـة مـن جديـد، وإعــادة الإســلام إلى الســاحة الاجتماعيــة ليــمارس دوره في نهضــة الأمــة، والرقــي بهــا، ويجعــل لهــا حضــورًا عالميًّــا لتقــوم بــدور الشــهادة والأمــر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، ورفـع الظلـم عـن النـاس وإخراجهـم مـن عبـادة العبـاد إلى عبـادة ربِّ العبـاد.



لمحة عن المؤلف:

سامر بن محمد نزار إسلامبولي

تولد: دمشق، سورية، 1963 م.

باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي.

عضو في اتحاد الكُتَّاب العرب.

نُشر له مقالات في مجلة العالم، ومجلة إسلام 21، ومجلة شباب لك، والأسبوع الأدبي، والوقت البحرينية، والمثقف.

صدر للمؤلف عن دار ليفانت للدراسات الثقافية والنشر 2019

1. علمية اللسان العربي وعالميته.
2. تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لخمسين حديث من البخاري ومسلم.
3. اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي.
4. مفهوم السنة غير الحديث ويليه غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري وليس قرءانيًا.
5. دراسة نقدية لمفاهيم أصولية (الآحاد، الإجماع، النسخ).
6. ظاهرة النص القرءاني تاريخ ومعاصرة. (رد على كتاب: النص القرءاني أمام إشكالية البنية والقراءة).

7. القرءان بين اللسان والواقع.
8. ميلاد امرأة (رواية نفسية واجتماعية).
9. أفكار فلسفية وفتاوى أزهرية (مجموعة قصص قصيرة).
10. مفاهيم ثقافية.
11. نبي الإسلام غير نبي المسلمين.
12. دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير.
13. القرءان من الهجر إلى التفعيل.
14. حوارات ثقافية.
15. الانتحار الفكري.
16. مشروع ثقافي راشدي للنهضة.
17. رؤية قرءانية في مواضيع اجتماعية (الميراث، النكاح، التعدد، الطلاق، لباس المرأة، ملك اليمين).
18. قراءة نقدية لكتاب التفكير للنبهاني.
19. علم الله وحرية الإنسان، دمشق - دار الأهال، 1994 م.
20. المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، دمشق - دار الأوائل، 1998 م.
21. الإلوهية والحاكمية، دمشق - دار الأوائل، 1998 م.

عنوان الباحث:

السويد

البريد الإلكتروني: s.islambouli@gmail.com

موبايل: 0046734233031

كتاب (التفكير) هو من آخر ما ألفه «النبهاني» في حياته قبل وفاته في آخر السبعينيات من القرن العشرين، ويُعَدُّ عند أتباعه (عناصر الحزب) كتاب مهم جدًّا، وربما عدّوه أهم كتاب في موضوعه على مستوى الفكر العالمي.

ليس الهدف من هذه القراءة نقض الكتاب، وإنما نقده وتقويمه ومساعدة أتباع الرجل على الانفتاح على الآخرين والحوار معهم، والتعايش مع الرأي الآخر المختلف عنهم، والتفريق بين الحكم على الفكرة بالكفر، والحكم على الشخص بالكافر، وهذا ما وقع به «النبهاني» عندما حكم على فلاسفة المسلمين بأنهم كفّار جميعًا.

ودعوتهم للرجوع إلى القرءان في دراستهم، والاعتماد عليه مصدرًا علميًّا وفكريًّا وتشريعيًّا ونفسيًّا، وعدم الانزلاق في متاهات مصطلحات الآخرين والاعتماد عليها في الدراسة؛ مما أدى إلى الوصول إلى مفاهيم مختلفة مع القرءان مثل مفهوم التعقل، والتفكير، والإدراك...إلخ.



سامر بن محمد نزار إسلامبولي

ولادة دمشق 1963، سوري الجنسية، مقيم في السويد

باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي

عضو في اتحاد الكتّاب العرب في سورية منذ عام 2008

بلغت مؤلفاته حوالي عشرين كتاباً من أهمها:

• دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير • علمية اللسان العربي وعالميته، تقديم الدكتور مازن الوعر

• تحرير العقل من النقل • القرآن من الهجر إلى التفعيل • اليهودية إنغلاق فكري وإرهاب اجتماعي

القصص

• ميلاد امرأة (قصة نفسية واجتماعية) • أفكار فلسفية وفتاوى أزهرية. مجموعة قصص قصيرة

المؤتمرات التي شارك فيها

• مؤتمر حقوق الإنسان الذي أقامته جمعية التجديد الثقافية البحرينية في عام 2010 في البحرين عنوانها: الحريات وحقوق الإنسان • ندوة الملتقى الثاني لكُتّاب التنوير في مركز الدراسات الإسلامية في دمشق عام 2006 • ألقى محاضرات في المراكز الثقافية.

مقالاته المنشورة في الدوريات والصحف

• مجلة العالم تصدر في لندن، مجلة إسلام 21 تصدر في لندن • مجلة شباب لك تصدر في دمشق، جريدة الوقت البحرينية • جريدة المثقف البحرينية • جريدة الأسبوع الأدبي التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق.

منتدى الباحث سامر اسلامبولي: https://www.facebook.com/groups/170302883083402

الصفحة الرسمية: http://cutt.us/TroyV الإميل: s.islambouli@gmail.com

موبايل: 0046734233031





